بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة التوسل

المؤلفة

لحضرت شيخ الحديث مولانا مفتى محمد فريد الزّروبوى المفتى والشيخ
بدار العلوم حقانيه اكوره ختك

باهتمام مؤتمر المصنّفين

دارالعلوم حقّانيه اكوره ختك، ضلع بشار، باكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصّلوة والسّلام على سيّدنا محمد الذى أُرسل رحمة للعالمينَ، وعلى آله واصحابه واتباعه الداعين الى الهداية للعالمين.

امّا بعد : فهذه رسالة مختصرة مقتبسة من الاسفار، لعل الله تعالى يصون بها اهل الاعتدال من اعتداء الاشرار، اعلم ان هذه الرسالة مشتملة على عشرة فصول، وهى فى معنى الوسيلة والتوسل، واقسام التوسل، والتوسل فى كتاب الله تعالى، والتوسل فى الاحاديث، والتوسل فى اثار السلف الصالحين، والتوسل فى كلام الائمة المتبوعين، والتوسل فى كلام الفقهاء، والتوسل فى كلام المشائخ، والتاسع فى دلائل المنكرين، والعاشر فى الجواب عن جانب المثبتين، ولاحول ولا قوة الاّ بالله العلى العظيم.

الفصل الاول

فى معنى الوسيلة والتوسل

قال ابن جرير الطبرى فى تفسيره (ج : ۶ ، ص : ۱۴۶) الوسيلة هى الفعيلة من قول القائل توسلت الى فلان بكذا، بمعنى تقربت اليه، وعن ابى وائل وعطاء، ومجاهد والحسن انها القربة، وعن السدى انها المسئلة والقربة، وعن ابن زيد انها المحبة، وقال العلامة الآلوسى فى تفسيره (ج : ۶، ص : ۱۲۴) الوسيلة هى فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله عز وجل من فعل الطاعات وترك المعاصى، من وسل الى كذا، اى تقرب اليه بشيئ، وعن ابن عباس الوسيلة الحاجة، انتهى، وقال صاحب الكشاف فى تفسير سورة المائدة (وَابْتَغُوا اِلَيْهِ الْوَسِيْلَةَ) كل ما يتوسل به اى يتقرب به من قرابة او ضيعة او غير ذلك، فاستعيرت لما يتوسل به الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصى. (كشاف، ج : ۱، ص : ۴۱۴) وفى التفسير المظهرى، (وَابْتَغُوا اِلَيْهِ الْوَسِيْلَةَ) اى التقرب ، رواه الحاكم عن حذيفة، وكذا روى الفريابى وعبدبن حُميد، وابن المنذر، وابن ابى حاتم عن ابن عباس وفى القاموس الوسيلة المنزلة عند الملك والدرجة والقربة، وفى الصحاح الوسيلة التوصل الى شيئ وهى اخص من الوصيلة لتضمنها معنى الرغبة، وروى احمد بسند صحيح عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه مرفوعًا وروى مسلم عن عبدالله بن عمروبن العاص مرفوعًا انها المنزلة فى الجنة. انتهى ما فى تفسير المظهرى بحذف يسير، وملخص كلامهم ان التوسل هوالتقرب وان الوسيلة

تطلق على التقرب والقربة والآلة والمسئلة والمحبة والمنزلة فى الجنة والمنزلة عندالملك.

فائدة : ذوات الآلات كالمدية والمقراض والسيف وان كانت تطلق عليها الوسائل فى الظاهر، لكن الوسائل فى الحقيقة استعمالها وتحريكها وهو واضح جدًا.

الفصل الثانى

فى اقسام التوسل

اعلم ان التوسل قسمان : شركى وشرعى، الاول : ما ذكره الله تعالى فى قوله ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ (سورة الزمر، آيه : ٣) اى العبادة لغير الله تعالى ليقربه وحاجاته الى الله، والثانى ما لايكون كذلك، وله اقسام متعددة: الاول : التوسل بالايمان الى الغفران كما فى قوله تعالى : ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ (سورة آل عمران، آية : ١٩٣) ، وقال تعالى ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ (سورع طٰهٰ، آية : ٧٣) . ولاشك فى جوازه، والثانى: التوسل باعمال نفسه لقضاء حاجاته الدنيوية كما روى البخارى فى حديث الغار ان إهل الغار توسلوا باعمالهم الصالحة من العصمة من الزناء وبرالوالدين ونماء اجرة الاجير، الى النجاة من الغار، وحكاه النبى صلى الله عليه وسلم بلانكير، والثالث: التوسل باعمال غيره لقضاء الحاجات، كما فى قوله تعالى ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ (سورة كهف، آيه : ٨٢). حيث حفظ الله خزانة اليتيمين لاجل صلاح ابيهما، وكما فى قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (سورة الطور، آيه : ٢١) حيث بلغهم درجة آبائهم تكرمة لآبائهم، وكما فى قوله عليه الصّلوة والسّلام (من قرأ القرآن وعمل بما فيه أُلبس والداه تاجًا يوم القيامة)، رواه احمد وابوداؤد. (١) وكما فى قوله صلى الله عليه وسلم (من قرء آية الكرسى حين يأخذ مضجعه آمنه الله على داره ودار جاره ودويرات حوله)، رواه البيهقى بسند ضعيف.

والرابع : التوسل بالدعاء، كما روى البخارى (ان اعرابيًا نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو لسقى امته)، وكما روى ابن ماجة والترمذى وغيرهما (ان رجلاً ضرير البصر اتى

---

١ ــ رواه ابوداؤد فى كتاب الصلوة، باب فى ثواب قراءة القرآن، ورواه احمد فى كتاب مسند المكيين، باب حديث معاذبن انس الجهنى رضى الله تعالى عنه.

النبى صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافينى)، (١) وهذا مما لايخفى جوازه على احد.

الخامس : التوسل بالصالحين وهو قد يكون باعمالهم ودعاءهم كما روى البخارى عن مصعب بن سعد مرفوعًا هل تنصرون وترزقون الاّ بضعاءكم، وكما روى صاحب شرح السنة فى شرح السنة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يستفتح بصعاليك المهاجرين. وقديكون بشركتهم كما فى قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (سورة الانفال، آيه : ٣٣) وكما فى حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يأتى على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون هل فيكم من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول نعم فيفتح لهم ـ الى آخر الحديث) رواه البخارى ومسلم، وكما فى حديث البخارى (ان عمر توسل بعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم)، وكما فى حديث احمد عن على قال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (الابدال يكونونو بالشام وهم اربعون رجلاً كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلاً يسقى بهم الغيث وينتصربهم على الاعداء ويصرف عن اهل الشام بهم العذاب)، (٢) وفى كنز العمال عن الطبرانى وغيره مرفوعًا (ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت جيرانه)، وقد يكون بمحبة المتوسل الصالحين وقديكون بمحبة الله اياهم وقد يكون بجاههم عندالله، وتوسل العوام بالصالحين يرجع غالبًا الى هذه الاقسام الثلاثة، وبالجملة ان التوسل بالذوات الفاضلة لايراد به التوسل بالذوات الفاضلة من حيث انها ذوات، لعدم تفاوت الصالحين من غيرالصالحين فى الذات، لكون كلهم من قبيل الحيوان الناطق والانسان، ولو تفكرتَ لعلمتَ انه قد يجتمع من اقسام التوسل بالصالحين قسمان بل اكثر فى مادة واحد.

الفصل الثالث

فى التوسل فى القران

قد ورد التوسل فى كتاب الله تعالى كما فى سورة البقرة : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ (سورة البقره، آيه : ٨٩)، روى السدى انهم كانوا اذا اشتد الحرب بينهم وبين المشركين اخرجوا التوراة و وضعوا ايديهم على موضع ذكر النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا :

---

١ ـ رواه الترمذى فى كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب فى دعاء الضيف.ورواه ابن ماجة فى كتاب اقامة الصلوة والسنة فيها، باب ما جاء فى صلوة الحاجة.

٢ ـ رواه احمد فى مسند العشرة المبشرين بالجنة، باب ومن مسند على ابن ابى طالب رضى الله تعالى عنه.

اللّهم انا نسألك بحق نبيك الذى وعدتنا ان تبعثه فى آخر الزمان ان تنصرنا اليوم على عدونا، فينصرون، (روح المعانى ، ج : ١ ، ص : ٣٢٠) هذا توسل بالصالحين بجاههم ومحبتهم وكما فى سورة الانفال ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ (سورة الانفال، آيه : ٣٣) وهذا توسل بالصالحين بشركتهم، وكما فى سورة الكهف ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ (سورة كهف، آيه : ٨٢). وهذا توصل بالصالحين باعمالهم وبجاههم وكما فى سورة الطور، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ (سورة الطور، آيه : ٢١) وهذا توسل باعمال الصالحين وقرابة الصالحين، وكما فى سورة المائدة ﴿ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ (سورة المائدة، آيه : ٣٥) وهذا توسل باعمال نفسه، وكما ان التوسل والتقرب بالطاعات والاعمال لاينافى بتوسط المعلّم الذى يعلّمنا الطاعات فكذلك التوسل والتقرب بالاحسان فى الطاعات لاينافى بتوسط المرشد الذى يرشدنا طرقَ الاحسان، و وسيلة الوسيلة كيف لاتسمى وسيلة.

الفصل الرابع
فى التوسل فى الاحاديث

قد ورد فى البخارى فى حديث الغار التوسل باعمال انفسهم وكذا ورد فى البخارى فى حديث (هل تنصرون وترزقون الاّ بضعفائكم)، التوسل باعمال الصالحين ودعاءهم، وكذا ورد فى البخارى (ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب، فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا صلى الله عليه وسلم فاسقنا، فيسقون) وفيه التوسل بشركة الصالحين ودعاءهم وبجاههم من قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم، فان قيل : ظاهر حديث عمر يدل على عدم جواز التوسل بالصالحين الموتى، قلنا : التوسل بالصالحين الموتى مشروع، كما فى قوله تعالى ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ وكما فى حديث الطبرانى الصغير والكبير والبيهقى وغيره (ان عثمان بن حنيف رضى الله تعالى عنه قال لرجل له حاجة الى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ان يتوضأ ثم يأتى المسجد ويصلى ركعتين، ثم يقول اللّهم انى اسألك واتوجه اليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة يا محمد ! انى توجهت بك الى ربى)، وكما فى حديث عمر الذى استدل به المعترض لان عمر رضى الله تعالى عنه قال (انا نتوسل بعم نبيك) ولم يقل انا نتوسل بالعباس ففيه توسل بجاه النبى صلى الله عليه وسلم، فان قيل لم لم يكتف عمر بتوسل النبى صلى الله عليه وسلم، قلنا : لما كان قصد عمر التوسل بشركة

الصالحين ودعاءهم، ومثل هذا النوع من التوسل لم يكن فى قدرة عمر رضى الله تعالى عنه فعدل الى ما هو فى قدرته من التوسل بشركة من له جاهٌ وعظمة بسبب قرابة النبى صلى الله عليه وسلم، نعم فى هذا الحديث حجة على من قال ان التوسل بالصالحين شرك، لان الصحابة رضى الله تعالى عنهم لما توسلوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وبعمه بلا نكير فكيف يكون شركًا، وكذا ورد فى الترمذى وابن ماجة والبخارى فى تاريخه، حديث ضريرالبصر (ان النبى صلى الله عليه وسلم امره ان يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا، اللّهم انى اسألك واتوجه اليك بنبيك نبى الرحمة) وفيه التوسل بجاه النبى صلى الله عليه وسلم وفى هذا الباب احاديث اكثر من ان تحصى.

المبحث الخامس

فى التوسل فى آثار السلف الصالحين

قد مر سابقًا ان عمر رضى الله تعالى عنه توسل بالعباس، رواه البخارى وغيره، وروى ان معاوية رضى الله تعالى عنه توسل بيزيدبن الاسود فى الاستسقاء، رواه ابن سعد فى طبقاته (ج : ٧، ص: ٤٤٤) وروى الطبرانى فى الصغير، (ص : ١٠٣) ان عثمان بن حنيف علّم رجلاً ان يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم، ورواه الطبرانى فى الكبير ايضًا، وروى البيهقى فى دلائل النبوة والبخارى فى التاريخ وابن ابى شيبة فى المصنف ان بلال بن الحارث المزنى اتى الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عهد عمر فقال يا رسول الله ! استسق امتك، وهذا توسل بالدعاء ونقل هذا الاثر الزرقانى (ج : ٨ ، ص : ٧٧) وابن عبدالبر فى الاستيعاب : (ج : ٢ ، ص : ٤٦٤) والحافظ ابن حجر فى الفتح : (ج : ٢، ص : ٤١٢) وروى الدارمى فى مسنده : (ج: ١، ص: ٤٣) ان اهل المدينة شكوا الى عائشة رضى الله تعالى عنها القحط فقالت انظروا الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فاجعلوا كوة الى السماء حتى لايكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فسُقوا، وهذا توسل بما له تعلق وعلاقة بالنبى صلى الله عليه وسلم، وفى البداية والنهاية (ج : ٧، ص: ١١٣) قد روى ان خالد اسقط قلنسوته يوم اليرموك وهو فى الحرب، فجعل يستحث فى طلبها فعوتب فى ذلك فقال ان فيها شيئًا من شعر ناصية النبى صلى الله عليه وسلم وانها ما كانت معى فى موقف الاّ نصرت بها، وفى ازالة الخفاء (ج : ٢، ص : ١٦٨) ان عمر بعث جندًا الى مدائن كسرى وامّر عليهم سعدبن ابى وقاص وجعل قائد الجيش خالدبن الوليد، فلما بلغوا شط الدجلة ولم يجدوا سفينة تقدم سعد وخالد فقالا يا بحر انك تجرى بأمر الله فبحرمة محمد صلى الله عليه وسلم وبعدل عمر رضى الله تعالى عنه الاّ خليتنا والعبور، فعبر الجيش بخيله وجماله ورجاله الى مدائن ولم تبتل حوافرها.

الفصل السادس
فى التوسل فى كلام الائمة الاعلام

روى الامام عبدالوهاب الشعرانى وغيره عن الامام الاعظم ابى حنيفة رحمه الله اذا صح الحديث فهو مذهبى، وقد عرفت ثبوت الاحاديث الصحاح المحكمة فى الفصل الخامس فى التوسل فهو مذهب ابى حنيفة رحمه الله تعالى، روى القاضى عياض المالكى فى الشفاء باسناد صحيح، كما نقله الخفاجى فى شرح الشفاء (ج : ٣، ص : ٣٩٨) ان الامام مالكًا قال للمنصور الخليفة الثانى من بنى العباس، لم تصرفُ وجهك عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو وسيلتك و وسيلة ابيك آدم الى الله تعالى، بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك، وهكذا فى المواهب اللدنية و وفاء الوفاء، وروى الخطيب البغدادى فى تاريخه (ج : ١، ص : ١٢٣) بسند صالح، ان الامام الشافعي يجئ الى ضريح الامام ابى حنيفة يزوره فيسلم عليه ثم يتوسل الى الله تعالى به فى قضاء حاجاته، وقال ابن مفلح فى الفروع (ج : ١، ص : ٥٩٥) يجوز التوسل بصالح وقيل يستحب، وقال احمد فى منسكه الذى كتبه للمروزى انه يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم فى دعاءه، وجزم به فى المستوعب وغيره، وفى شواهد الحق ليوسف النبهانى، (ص : ١٦٦) انه توسل الامام احمد بن حنبل بالامام الشافعى رحمهما الله تعالى حتى تعجب ابنه عبدالله بن احمدبن حنبل من ذلك، فقال الامام احمد له ان الشافعى كالشمس للناس.

الفصل السابع فى التوسل فى كلام الفقهاء،
والفصل الثامن فى التوسل فى كلام المشائخ

قال ابن الهمام فى فتح القدير (ج : ٢، ص : ٣٣٧) ويسأل الله حاجته متوسلاً الى الله بحضرة نبيه، ثم قال يسأل النبى صلى الله عليه وسلم الشفاعة فيقول يا رسول الله أسألك الشفاعة ، يا رسول الله أتوسل بك الى الله، وبوّب الترمذى فى جامعه باب ما جاء فى الاستفتاح بصعاليك المسلمين، ثم اخرج حديث (فانما ترزقون وتنصرون بضعفاءكم)، وقال الامام الغزالى فى احياء العلوم فى باب زيارة المدينة وآدابها (ج : ١، ص: ٢٦٠) يقول الزائر : اللّهم قصدنا نبيك مستشفعين به اليك فى ذنوبنا، وفى آخره، ونسألك بمنزلته عندك وحقه عليك، وقال الشوكانى فى تحفة الذاكرين (ص : ١٦٢) بعد ذكر حديث عثمان بن حنيف وفى الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله عزّ وجل، وفى تحفة الاحوذى شرح الجامع الترمذى (ج : ٤، ص : ٢٨٢) قال الشوكانى فى رسالته الدر النضيد ان التوسل به صلى الله

عليه وسلم يكون فى حياته وبعد موته وفى حضرته ومغيبته، وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (ج : ٢، ص : ٤٩٧) فى حديث توسل عمر بالعباس، يستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع باهل الخير والصّلاح واهل بيت النبوة، وقال العلامة الآلوسى فى روح المعانى (ج : ٦، صح : ١٢٨) انا لانرى بأسًا فى التوسل الى الله بجاه النبى صلى الله عليه وسلم عند الله حيًّا وميتًا، ويراد من الجاه معنى يرجع الى صفة من صفاته تعالى مثل ان يراد به المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته، وقال العلامة بعد اسطر : بل لا أرى بأسًا ايضًا بالاقسام على الله تعالى بجاهه صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى، ثم قال العلامة بعد اسطر : ان التوسل بجاه غير النبى صلى الله عليه وسلم لا بأس به ايضًا ان كان المتوسل بجاهه مما علم ان له جاهًا عندالله كالمقطوع بصلاحه و ولايته، اى كعمران، وامّا من لاقطع فى حقه بذلك فلايتوسل بجاهه، اى كالشيخ عبدالقادر الجيلى، لما فيه من الحكم الضمنى على الله تعالى بما لم يعلم تحققه منه عز شانه، انتهى ما فى روح المعانى، وسيأتى تتمة كلامه فى المبحث العاشر ان شاء الله تعالى ، وتاليفات الشاه ولى الله والشاه عبدالعزيز مملوءة من الفاظ التوسل فليراجع اليها، وقال مولانا محمد اسحاق فى مائة مسائل : يجوز دعاء الاستفتاح بحرمة الشهر الحرام والمشعر العظام وقبر نبيك عليه السلام، وقال الشاه اسماعيل فى تقوية الايمان يجوز ان يقول : اللّهم ان اسألك بوسيلة فلان من الاولياء، وصرح بجوازه القطب الجنجوهى وحكيم الامة الشاه مولانا اشرف على التهانوى وشيخ الاسلام السيد مولانا حسين احمد المدنى والشيخ مولانا خليل احمد المهاجر المدنى الانصارى وشيخ الحديث والتفسير مولانا حسين على، وشيخنا المحدث الكبير مولانا نصيرالدين الغرغشتوى فى مكتوباتهم وملفوظاتهم ومصنفاتهم، وسمعت الشيخ جامع المعقول والمنقول والدى مولانا حبيب الله الزروُبوى ينكر على الطائفة النجدية ويقول انكروا عن بركة الصالحين وجاههم حيث فقدوهما فى انفسهم وآباءهم، وكان شيخنا امام العلماء والصلحاء مولانا محمد عبدالمالك الصديقى يواظب على قراءة السلسلة المباركة، وكان العلامة شيخنا المحدث الكبير مولانا عبدالحق مدير دارالعلوم الحقانيه وبانيها قدس سرد يتوسل فى دعواته

الفصل التاسع

فى دلائل من انكر التوسل

من انكر التوسل قد يتمسك بقوله تعالى : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ (سورة الزمر، آيه : ٣) وقد يتمسك بحديث الطبرانى فى الكبير (انه لايستغاث بى انما يستغاث بالله تعالى) وقد

يتمسك بما رواه البخارى (ان عمر رضى الله تعالى عنه لم يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم)، وقد يتمسك بما ذكره صاحب الدرالمختار فى كتاب الحظر والاباحة فى فصل البيع، كره قوله بحق رسلك وانبياءك او بحق البيت لانه لاحق للخلق على الخالق، وقد يعضد رأيه بما قال العلامة الآلوسى، واما اذا كان المطلوب منه ميتًا او غائبًا فلا يستريب عالم انه غير جائز، وقال الآلوسى ايضًا وامّا القسم على الله باحد من خلقه مثل ان يقال : اللّهم انى اقسم عليك او اسألك بفلان الاَ ما قضيت لى حاجتى، فعن ابن عبدالسلام جواز ذلك فى النبى صلى الله عليه وسلم لانه سيد اول ولد آدم ولايجوز ان يقسم على الله بغيره من الانبياء والملائكة والاولياء، لانهم ليسوا فى درجته، ويرشح كلام المجد ابن تيمية بمنع التوسل بالذات والقسم على الله باحد من خلقه مطلقًا، وقال التاج السبكى ويحسن التوسل والاستغاثة بالنبى الى ربه ولم ينكر ذلك احد من السلف والخلف حتى جاء ابن تيمية فانكر ذلك، قال العلامة الآلوسى ردًا على السبكى، وانت تعلم ان الادعية المأثورة عن اهل البيت الطاهرين وغيرهم من الائمة ليس فيها التوسل بالذات المكرمة صلى الله عليه وسلم.

الفصل العاشر

فى الجواب عن تمسكاتهم

والجواب عن آية سورة الزمر ان المذكور فيها التوسل الشركى لان عبادة غير الله شرك جلى، والجواب عن حديث الطبرانى لايستغاث بى انما يستغاث بالله تعالى، ان فى سنده ابن لهيعة وهو خُلط عليه بعد احتراق كتبه كما فى تقريب التهذيب، ثم هو معارض بما رواه البخارى (ج : ١، ص : ١٩٩) فى باب من سأل الناس تكثرًا فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم، فيحمل حديث الطبرانى على باب الادب كما فى قوله عليه الصّلوة والسّلام (ما انا حملتكم ولكن الله حملكم)، او يحمل على العزيمة اى الاستغاثة بى وان كان مشروعًا ولكن العزيمة ان يستغاث بمسبب الاسباب، والجواب عن تمسكهم بحديث عمر ما مر سابقًا انه لما ثبت بالاحاديث جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم حيًّا وميّتًا فيحمل حديث عمر على التوسل بشركة الصالحين ودعاءهم وهو يقع بالاحياء دون الاموات، والجواب عن تمسكهم بعبارة الدر المختار ان قوله لاحقّ للخلق على الخالق معارض بما رواه الشيخان عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا معاذ هل تدرى ما حق الله تعالى على عباده وما حق العباد على الله)، فانه يدل على ان للعباد حقًّا على المعبود، وكذا هو معارض بما رواه الطبرانى فى الصغير (ص : ٢٠٧) عن عمربن الخطاب مرفوعًا، وفيه : فقال آدم عليه السلام أسألك بحق محمد الاَ غفرت لى، وكذا هو معارض بما رواه ابن ماجة مرفوعًا وفيه (وبحق السائلين عليك)، فلابد من الجمع بينها بان الحق بمعنى الواجب الذى يصدر عن الفاعل اضطرارًا منتفٍ عن الله تعالى، وبمعنى ان

الله تعالى التزمه على ذاته تفضلاً ثابت على الله تعالى، او يقال ان المعتزلة لما قالوا بوجوب بعض الامور على الله تعالى فنهى الفقهاء عن التوسل بلفظ الحق لئلا يوهم الاعتزال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اتقوا مواضع التهم) اخرجه البخارى فى تاريخه، والجواب عما تمسكوا به من كلام العلامة الآلوسى ان العلامة الآلوسى قال بجوازالتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم وكذا بغير النبى صلى الله عليه وسلم اذا علم صلاحه و ولايته قطعًا وجزمًا، وانتم ايها المنكرون لاتقولون بجوازه اصلاً، نعم لم يقل العلامة بالتوسل بجاه من لاقطع فى حقه بالصلاح والولاية لكن مشائخنا لم يوافقوه فيه والراجح قول المشائخ لان غير النبى صلى الله عليه وسلم اذا لم يقطع بصلاحه و ولايته جاز نكاحه والاقتداء به وصلاة الجنازة عليه نظرًا الى ظاهر اسلامه فيكون التوسل بمن هو صالح فى الظاهر اولى بالجواز لان هذه الامور فوق التوسل ثبوتًا واهتمامًا.

وكذا ما قال العلامة الآلوسى ان طلب الدعاء من الغائب والميت غير جائز، فمشائخنا لم يوافقوه فيه، بل قالوا طلب الدعاء من الغائب لايجوز اصلاً، وامّا طلب الدعاء من الميت فلاضير فيه اذا كان من فناء القبر عند من قال بسماع الموتى، ولا فائدة فيه عند من انكر سماع الموتى، وعلى كل تقدير لايلزم من عدم جواز طلب الدعاء منهما عدم جواز التوسل بجاههما واعمالهما، لان مدار هذا التوسل على استحضارهما وتصورهما ولافرق فيه بين الحى والميت والحاضر و الغائب،بخلاف ما اذا كان التوسل بشركة الصالحين فانه يقع من الحى الحاضر دون الميت الغائب.

فائدة : اعلم الاقسام بالنبى وغيره غير جائز لحديث ابن عمر مرفوعًا من حلف بغيرالله فقد كفر او اشرك، رواه الترمذى، وهو محمول على التغليظ، اما الإقسام على الله فهوجائز لما رواه احمد ومسلم عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعًا، رُبّ اشعث اغبر مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لأَبَرَّه، وروى معناه البخارى والبزار ومعنى الاقسام على الله ان يقسم بالله تعالى ا الله يفعل هذا الامر البتة، ويقال له الهمة والعزيمة، وهذا آخر ما اردت ولاحول ولاقوة الاّ بالله العلى العظيم، وقد فرغت منها فى يوم الجمعة قبل الغروب، فى شهر صفر، سنة ١٤١٠ هـ.

ولله الحمد اولاً واخرًا وظاهرًا وباطنًا،

والصّلوة والسّلام على خير خلقه محمد واله واصحابه واتباعه ابدًا ابدًا